أهمية التنمية المستدامة في السياحة الصحراوية: حالة الجزائر

Importance of sustainable development in Saharan tourism: The case of Algeria

حالة بوجمعة*
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد،
الجزائر
boudjemaa.hala@yahoo.fr

براس دليلة
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد،
الجزائر
dberass@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2022/06/03 تاريخ القبول: 2022/08/05 تاريخ النشر: 2022/08/31

ملخص:
شهدت السنوات الأخيرة إهتماماً متزايداً بمسألة السياحة المستدامة بالتزامن مع التشكيك في السياحة التقليدية بسبب نتائجها المضرة بالبيئة وعودة الإهتمام بالسياحة الصحراوية. من جهة أخرى، تُقدِم الجزائر مخططها الاستراتيجي للتهيئة السياحية 2030 على أنه إستراتيجية تهدف الى ترقية السياحة المستدامة. تهدف هذه الورقة الى دراسة العلاقة بين السياحة الصحراوية والسياحة المستدامة، من خلال قراءة في الاستراتيجية الجزائرية في مجال السياحة. وتوصلت الدراسة الى غياب إستراتيجية واضحة لترقية السياحة الصحراوية في الجزائر، بالإضافة الى غياب سياسة متجانسة للقطاع السياحي المستدام في الجزائر. وتوصي الدراسة بضرورة ترقية السياحة الصحراوية في الجزائر كسياحة مستدامة مكملة للسياحة الساحلية بجعل السياحة الصحراوية المحرك الذي تقوم عليه السياحة المستدامة في الجزائر.
الكلمات المفتاحية: سياحة صحراوية؛ سياحة مستدامة؛ تنمية مستدامة؛ مخطط استراتيجي للتهيئة السياحية؛ الجزائر.

Abstract :
In recent years, there has been a growing interest in sustainable tourism issues, with traditional tourism questioned for its negative impact on the environment and a renewed interest in Saharan tourism. Algeria also presented its Strategic Plan for Tourism Development 2030 as a strategy to promote sustainable tourism. This paper aims to study the relationship between Saharan tourism and sustainable tourism, through a reading in Algeria's Tourism Strategy. The study found that there was no clear strategy for promoting Saharan tourism in Algeria, as well as no coherent policy for a sustainable tourism sector in Algeria. The study recommends that Saharan tourism in Algeria should be promoted as a sustainable tourism complement to coastal tourism by making Saharan tourism the driver of sustainable tourism in Algeria.
Key Words: Saharan tourism; Sustainable tourism; Sustainable development; Plan for tourism development; Algeria.

JEL Classification: L83, Q01.

* مرسل المقال: حالة بوجمعة (*boudjemaa.hala@yahoo.fr*)

المقدمة:

عرفت السنوات الأخيرة إهتماماً متزايداً بالسياحة المستدامة على مستوى العالم وتزامن هذا الاهتمام مع البحث عن بدائل للسياحة التقليدية المعروفة بتوجهاتها غير الصديقة للبيئة والاستدامة. حتى سنة 1992، تاريخ بروز مفهوم السياحة المستدامة لأول مرة في قمة "ريو" (Rio) في البرازيل، كانت إشكالية التوفيق بين التنمية المستدامة والنشاط السياحي تعود بشكل متكرر في كتابات الباحثين، وتساءل البعض عن قدرة النشاط السياحي على إدماج مبادئ التنمية المستدامة خاصة الجوانب البيئية والاجتماعية منها. غير أن مكانة التنمية المستدامة في السياحة بدأت تكبر تحت ضغط التجنيد السياسي والإعلامي من جهة وارتفاع حملات التحسيس للسياح أنفسهم من جهة أخرى. (Camus, Hikkerova, & Sahut, 2010)

وكذلك بالنسبة للسياحة الصحراوية حيث طُرحت في البداية إشكالية التوفيق بينها وبين التنمية المستدامة بسبب هشاشة الطبيعة الصحراوية، قبل أن يبدأ الحديث في بعض الدول عن السياحة الصحراوية كبديل للسياحة التقليدية وكوسيلة لتنويع العرض السياحي. يمكن الحديث هنا عن التجربة التونسية والتجربة المغربية في مجال السياحة الصحراوية.

في الجزائر، يُقدَم المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية آفاق 2030 (SDAT) على أنه الاستراتيجية التي تهدف من خلالها الجزائر الى جعل السياحة أداة لتنويع الاقتصاد الوطني المرتبط بقطاع المحروقات وتحقيق في نفس الوقت أهداف االتنمية المستدامة. والمخطط التوجيهي للتنمية السياحية آفاق 2030 هو عبارة عن تقرير عام أعدته وزارة السياحة سنة 2008 ويحتوي على خمس (5) كتب. (Ministère du tourisme, 2008).

لكن تحليل النقاط الأساسية لمحتوى المخطط التوجيهي يبين أن رؤية المخطط للسياحة المستدامة وللسياحة الصحراوية تختلف عن الرؤية المتفق عليه من طرف الباحثين والمنظمات الدولية خاصة ما تعلق منها بالسياحة الصحراوية. منذ 35 سنة، شهد مفهوم السياحة المستدامة والسياحة الصحراوية عدة تغييرات نتيجة التحولات المؤسسية وكذلك تغير نظرة السياح للسياحة.(Marcotte, Bourdeau, & Sarrasin, 2017) ما يقتضي الإشارة الى تطور مفهوم السياحة الصحراوية والسياحة المستدامة.

تهدف هذه الورقة الى دراسة العلاقة بين السياحة الصحراوية والسياحة المستدامة، من خلال قراءة في الاستراتيجية الجزائرية في مجال السياحة. أي تحاول الورقة الاجابة على السؤال التالي : هل تستجيب السياحة الصحراوية في الجزائر لمتطلبات السياحة المستدامة؟

وللإجابة على هذا السؤال، نقدم الفرضيات التالية:

- يختلف مفهوم السياحة الصحراوية عن مفهوم السياحة المستدامة؛
- غياب السياحة الصحراوية عن استراتيجية التنمية السياحية في الجزائر.

لاختبار الفرضيات المطروحة، تم الاستعانة بالمنهج الوصفي باستعمال أسلوب تحليلي باعتباره الأكثر ملائمة لتحليل المفاهيم وقراءة التجربة الجزائرية في مجال السياحة الصحراوية المستدامة، وذلك بالاعتماد على بعض الدراسات والمصادر الرسمية.

وعليه، تم تقسيم الدراسة الى محورين رئيسيين:

- التعرف على طبيعة الارتباط بين مفهوم السياحة الصحراوية ومفهوم السياحة المستدامة؛
- توضيح مكانة السياحة الصحراوية المستدامة في إستراتيجية التنمية السياحية في الجزائر من خلال المخطط الاستراتيجي للتهيئة السياحية (2030).
-

I. علاقة السياحة الصحراوية بالسياحة المستدامة: إشكالية ادماج اهداف التنمية المستدامة في مفهوم السياحة الصحراوية

رغم صعوبة تحديد مفهوم السياحة الصحراوية والسياحة المستدامة بسبب تعدد التعاريف وإستحالة الحصول على إجماع، إلّا أنه من الضروري تحديد الإطار التاريخي الذي نشأت وتطورت فيه هذه المفاهيم لتوضيح العلاقة التي تربط التنمية المستدامة بالسياحة بشكل عام والسياحة الصحراوية بشكل خاص.

1. مفهوم السياحة الصحراوية: بين مقاربة "الجغرافيا" ومقاربة "الإستدامة"

من الناحية التاريخية، تعود بداية الحديث عن السياحة الصحراوية الى ثلاثينيات القرن الماضي عندما نُظم أول سباق للسيارات سنة 1930 العابر للصحراء بمناسبة إحتفال فرنسا الاستعمارية بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر العاصمة. فكان على المشاركين في السباق عبور الصحراء ذهاباً وإياباً إنطلاقاً من الجزائر العاصمة ووهران وعنابة وتونس باتجاه السودان عبر تمنرست وغاو وأجزاء من النيجر. (Minvielle, 2008) إذا كان المغزى من تنظيم هذه التظاهرة هو إظهار إمكانية عبور الصحراء بواسطة السيارة وأن الصحراء ليست تلك المناطق التي لا يمكن الولوج إليها، فإن هذه الواقعة تشكل في الحقيقة بداية إهتمام الأوروبيين بالصحراء وإمكانياتها كوجهة سياحية. يذكر (Minvielle, 2008, pp. 11-12) مقاطع من "دليل سياحة السيارات في الصحراء" سنة 1936 يوضح فيها انبهار وإعجاب الغربيين بطبيعة وهدوء الصحراء، حيث يستعمل الكاتب تعابير خيالية للحديث عن جبال الهقار مثلاً أو صخور جانت.

بعد فترة من إستقلال العديد من الدول الإفريقية سادها الجمود، عاد في نهاية الثمانينات الإهتمام بالسياحة الصحراوية نتيجة مجموعة من العوامل أهمها فشل التجربة السياحية التقليدية في كثير من الدول وبداية الحديث عن التنمية المستدامة بظهور أشكال بديلة للسياحة الكلاسيكية التي يُعاب عليها تدميرها لمقدرات السياحة الحالية والمستقبلية. تعتبر التجربة المغربية والتونسية خاصة مثيرة للإهتمام في هذا الإتجاه حيث أن توجه تونس نحو السياحة الصحراوية جاء كمكمل للسياحة الساحلية وكوسيلة لتجنب المنافسة القوية التي تلاقيها من الدول الأوروبية في شمال البحر الأبيض المتوسط كإسبانيا واليونان. (Boukherouk, 2008) ويشترك في هذا الإتجاه أيضاً المغرب ومصر اللذان يهدفان الى البحث عن بديل للسياحة الساحلية.

تطرح هذه اللمحة التاريخية في الحقيقة إشكالية مفهوم السياحة الصحراوية: ما هي خصوصية السياحة الصحراوية؟ ما الذي يميزها عن السياحة التقليدية (الكلاسيكية) وباقي أنواع السياحة الأخرى (الساحلية، القطبية، البيئية،...)؟

فالهدف هنا ليس إستعراض مختلف التعاريف لأنواع السياحة المختلفة بقدر ما هو البحث عن تعريف دقيق وشامل لموضوع دراستنا. ويمكننا أخذ أحد التعاريف القلائل للسياحة الصحراوية ، وهو التعريف الوارد في الجريدة الرسمية الجزائرية حيث يُعرف المشرع الجزائري السياحة الصحراوية بانها:" كل اقامة سياحية في محيط صحراوي تقوم على استغلال مختلف القدرات الطبيعية والتاريخية والثقافية، مرفقة بانشطة مرتبطة بهذا المحيط من تسلية وترفيه واستكشاف". (القانون رقم 03-01 للجريدة الرسمية الجزائرية المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة والمؤرخ في 17 فبراير 2003).

إرتبط مفهوم السياحة الصحراوية دائماً بمنطقة جغرافية معينة (الصحراء)، فيتم غالباً معالجة الظاهرة من وجهة نظر "جغرافية". فنجد هنا " المقاربة الجغرافية" التي أُستعملت لدراسة أنواع أخرى من السياحة كالسياحة القطبية، حيث يرتبط النشاط السياحي بأماكن معينة محتواة داخل الدوائر القطبية في الشمال والجنوب. (Grenier, 2009). بالنسبة للسياحة الصحراوية، ترتبط السياحة بجزء كبير من صحراء إفريقيا تضم حوالي عشر (10) دول. فالحديث هنا عن أكبر صحراء في العالم بمساحة تقدر ب 8 مليون كيلومتر مربع تفصل شمال افريقيا عن افريقيا السمراء وتمتد حوالي 3500 كيلومتر من المحيط الأطلسي الى البحر الأحمر.(Hosni, 2000) . غير أن ربط مفهوم السياحة الصحراوية بمنطقة جغرافية معينة لا يكفي للتعبير بدقة عن معنى السياحة الصحراوية. فبالإضافة الى الظروف المناخية المتشابهة للمناطق الصحراوية (درجات الحرارة المرتفعة، الرياح القوية، الجفاف، التصحر،...) فإن هذه المناطق تشترك في بعض الخصائص الأخرى كالبُعْد والعزلة الجغرافية، وكذلك العوائق الناتجة عن محدودية وهشاشة الهياكل القاعدية بالإضافة الى التهميش الذي يعاني منه سكان المنطقة. وبالتالي، نرى أنه لتحديد مفهوم السياحة الصحراوية لا ينبغي الاكتفاء بالمقاربة الجغرافية، بل يجب توسيع مفهوم السياحة الصحراوية ليشمل جوانب أخرى خاصة الجانب الثقافي والاجتماعي. وقد بدا ذلك جلياً من خلال إهتمام الباحثين بموضوع السياحة المستدامة وأشكال أخرى بديلة للسياحة التقليدية. (Minvielle & Minvielle, 2014)

2. مفهوم السياحة المستدامة: حول تطور المفهوم وإمكانية إدماج التنمية المستدامة في السياحة الصحراوية

تشير الدراسات والأبحاث الى أن بداية الحديث عن السياحة المستدامة تعود الى بداية الإهتمام بالتنمية المستدامة في نهاية الثمانينات. (Marcotte, Bourdeau, & Sarrasin, 2017) (Hmioui & Leroux, 2019) (PNUE & OMT, 2006). في سنة 1987، نشرت اللجنة العالمية حول البيئة والتنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة تقرير حول التنمية المستدامة سُمي بتقرير «*Brundtland*»، نسبة الى (Gro Harlem Brundtland) الرئيسة النرويجية للجنة. يعتبر هذا التقرير، الذي حث على ضرورة حماية الموارد الطبيعية، الأساس الذي قامت عليه قمة "ريو" (Rio) في البرازيل سنة 1992 التي أبرزت أهمية السياحة البيئية.

ومن هنا بدأ الاهتمام بتحديد دور السياحة في التنمية المستدامة من طرف الباحثين والمنظمات الدولية حيث قدمت المنظمة العالمية للسياحة أول تعريف للسياحة المستدامة سنة 1993. فعرّفت المنظمة السياحة المستدامة بأنها النشاط الذي يأخذ بعين الاعتبار الحاجات الحالية للسياح والمناطق المستقبِلة لهم بدون المساس بحاجات الأجيال القادمة. ثم في سنة 2001 أضافت المنظمة للتعريف جوانب أخرى حيث أن إستعمال الموارد يجب أن يلبي الحاجات الاقتصادية

والاجتماعية، بالإضافة الى الحفاظ على الهوية الثقافية والنظام البيئي. واقترحت المنظمة العالمية للسياحة في سنة 2004 إضافة مجموعة من النقاط لتعريف السياحة المستدامة، أهمها: الاستعمال الأمثل للموارد البيئية، إحترام الأصالة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المستقبِلة، المساهمة في التسامح والتبادل الثقافي وكذلك التقسيم العادل للأرباح بين مختلف الأطراف التي شاركت في العملية. لتوضيح مراحل تطور مفهوم السياحة المستدامة، تم الاعتماد أساساً على دراسة الباحثين (Marcotte, Bourdeau, & Sarrasin, 2017) المشار إليها سابقاً والذين استدلوا بالتعاريف الواردة في (Goodwin, 2016, pp. 16-17).

توسيع مفهوم السياحة المستدامة من إهتمامات تتعلق في البداية بقضايا بيئية الى جوانب أخرى إجتماعية وثقافية وسياسية يعكس في الواقع الرغبة في البحث عن بديل للسياحة التقليدية التي تندرج في إطار إقتصاد السوق الكلاسيكي (عرض، طلب، سوق) ولا تهتم بالقضايا البيئية والاجتماعية والثقافية. غير أن المنظمة العالمية للسياحة (OMT) إنتقدت النظرة التي ترى أن السياحة المستدامة هي عبارة عن نوع من أنواع السياحة يتميز بالإضافة الى إهتمامه بالقضايا البيئية والاجتماعية بأنه موجه لسوق معينة (زبائن، متعاملون، خدمات،...) تختلف عن السوق السياحية العادية. (PNUE & OMT, 2006, pp. 11-12) فالمنظمة ترى أن الهدف الأساسي هو جعل كل شكل من أشكال السياحة يحمل طابع السياحة المستدامة. وبالتالي، حتى السياحة التقليدية الممارسة على نطاق واسع يمكن، بل يجب أن تكون مستدامة. وهذا ينطبق على جميع أشكال السياحة المعروفة (السياحة الساحلية، السياحة القطبية، السياحة الصحراوية،...). لذلك، لا يمكننا الحديث عن سياحة صحراوية من جهة وسياحة مستدامة بديلة من جهة أخرى ، بل ينبغي البحث عن سياحة صحراوية مستدامة. أي علينا أن نتساءل عن إمكانية دمج التنمية المستدامة في السياحة الصحراوية، أو بعبارة أخرى، هل يمكن التوفيق بين التنمية المستدامة والسياحة الصحراوية؟ من أهم العوائق التي أشار إليها الباحثون فيما يخص إشكالية إدماج التنمية المستدامة في السياحة الصحراوية نذكر هشاشة المناطق الصحراوية وعرضتها للمخاطر البيئية (التصحر، الجفاف، نقص المياه،....). (Hosni, 2000, pp. 11-13). وهو ما يطرح إشكالية ملائمة المنطقة الصحراوية للنشاط السياحي المعروف باستهلاكه للموارد خاصة ما يتعلق بالحفاظ على الموارد الطبيعية كالمياه وبعض النباتات والحيوانات، وكذلك المعالم الاثرية والتاريخية كالقصور والمخطوطات التي تتأثر بالظروف المناخية.

كما يعتبر نقص الوعي بأهمية قضايا التنمية المستدامة لدى الفاعلين في قطاع السياحة الصحراوية وكذا المجتمعات المستقبلة للسياح من العوامل التي صعَّبت من إدماج أهداف التنمية المستدامة في قطاع السياحة الصحراوية. فالنمو الديمغرافي وما يترتب عليه من تركيز كبير للسكان في مناطق معينة من الصحراء (الواحات خاصة) يؤدي الى إنتشار مظاهر التمدن والعصرنة كغزو الأسمنت للقصور والأراضي الزراعية، وكذا استعمال أساليب الري الحديثة على حساب أنظمة الري التقليدية الصديقة للبيئة (كنظام الفقاقير).

كما لا يمكن تجاهل دور الحكومات في مسألة السياحة الصحراوية المستدامة. والمقصود هنا الممارسات البعيدة عن أهداف التنمية المستدامة وليس القوانين والرسائل السياسية والاعلامية، أي هناك إهمال لمشروع التنمية المستدامة الذي

لا يتجاوز الخطاب السياسي والاعلامي. ومن أبرز الممارسات تهميش الحكومات للمناطق الصحراوية أي لسكانها. فنجد هنا صعوبة قبول الجانب الاجتماعي للتنمية المستدامة من طرف أصحاب القرار والعاملين في قطاع السياحة الذين يعتبرون أن تسيير قطاع السياحة ليس من شأن السكان المحليين ولكن من صلاحية المختصين وفق معايير محددة.. (Ben Temessek, 2008) من جهة أخرى، يعتبر غياب الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص في المجال السياحي من أهم مظاهر إهمال الجانب الاجتماعي للتنمية المستدامة من طرف الحكومات. (Hadach & Tebbaa, 2015) . أما فيما يخص الجانب الاقتصادي للتنمية المستدامة، فيمكن القول أن المناطق الصجراوية تعاني عموماً من نقص في الهياكل ومشاكل في النقل (تعاني من العزلة) ، بالاضافة الى إرتفاع معدلات البطالة وهشاشة النسيج الانتاجي. (Camus, Hikkerova, & Sahut, 2010).

في الأخير، يمكن القول أن إشكالية إدماج التنمية المستدامة في السياحة الصحراوية وإن كانت تمس كل الدول المعنية بهذا النوع من السياحة خاصة تونس، المغرب والجزائر، فإن شكلها يختلف من دولة لأخرى حسب خصائص كل دولة. (Hosni, 2000). وعليه سنحاول فيما يلي تقديم قراءة في المسألة تخص الجزائر.

II. مكانة السياحة الصحراوية المستدامة في إستراتيجية التنمية السياحية في الجزائر:

تراهن الجزائر على قطاع السياحة لتنويع إقتصادها. ويتجلى ذلك في المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية (2030 SDAT) الذي يهدف إلى جعل السياحة قطاعاً بديلاً لقطاع المحروقات، وتوفير الظروف الملائمة لتحقيق تنمية سياحية مستدامة. غير أنه يمكن القول أن نتائج القطاع السياحي عموماً لم تكن في مستوى الاستثمارات الكبيرة التي استفاد منها القطاع في السنوات الأخيرة. حسب الأرقام المقدمة من طرف المدير المركزي لوزارة السياحة، بلغت موارد قطاع السياحة 140 مليون دينار جزائري في حين قدرت نفقات القطاع ب 580 مليون دينار جزائري سنة 2017. (Djekhar, 2018). لكن ماذا عن السياحة الصحراوية المستدامة في الجزائر؟

1. خصوصية السياحة الصحراوية في الجزائر:

يتميز قطاع السياحة في الجزائر بوجود تنظيم هيكلي يأخذ شكل أقطاب سياحية، تخص بعضها المناطق الصحراوية. يختلف التنظيم الهيكلي السابق نوعاً ما عن التنظيم الوارد في المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2030 الذي سنراه لاحقاً. لكن لا تختلف التقسيمات كثيراً بالنسبة للمنطقة الصحراوية التي تهمنا هنا، فقط إنتقلنا من قطبين كبيرين (الجنوب والجنوب الكبير) الى أربعة (4) أقطاب (الهقار، الطاسيلي، توات والواحات). كما يبدو أن تقسيم المخطط التوجيهي هو التقسيم الذي سيأخذه قطاع السياحة في السنوات القادمة.

ويعتبر الموسم السياحي الصحراوي 2018 من أفضل المواسم في السنوات الأخيرة من حيث عدد السواح الذين زاروا الصحراء الجزائرية ، فبلغ عدد السواح في هذا الموسم 014 326 سائحاً منهم 871 25 سائحاً أجنبياً، أي 8% من مجموع السياح الذين زارو المنطقة الصحراوية في هذه الفترة. وتعود هذه الديناميكية الى وجود نوع من

الاستقرار الأمني والسياسي في السنوات الماضية، ما شجع عودة السواح الأجانب خاصة الفرنسيين بعدما خففت السلطات الفرنسية الإجراءات التي كانت تمنع الفرنسيين من التوجه الى الصحراء الجزائرية.

بالمقابل، سجل الموسم السياحي الصحراوي 2020 في الجزائر تراجعاً كبيراً في عدد السياح الذين زاروا الصحراء من بداية شهر أكتوبر 2020 الى نهاية شهر أفريل 2021، حيث بلغ عدد الزوار الإجمالي 275 140 سائحاً. فتراجع عدد الزوار بأكثر من 50 % مقارنة بموسمي 2018 و2019. ويمكن تفسير هذا التراجع بآثار الأزمة البيئية (جائحة كورونا) التي أثرت على الموسم السياحي بعد إجراءات الغلق.

يوضح الجدول التالي تطور عدد السياح الذين زارو المنطقة الصحراوية في موسمها السياحي خلال السنوات الأخيرة.

الجدول 01: عدد السياح في المواسم السياحية الصحراوية (2015–2020)

الفترة	المقيمين	الأجانب	المجموع
2020	127 418	12 857	140 275
2019	240 927	23 501	264 428
2018	300 143	25 871	326 014
2017	112 837	17 502	130 339
2016	132 597	7 506	140 103
2015	218 373	16 504	234 877

المصدر: (Ministère du tourisme, 2021)

إذا إستثنينا موسم 2020، تُظهر الأرقام أعلاه الصعوبات التي تواجهها الجزائر في جذب السياح، خاصة بالنسبة للمنطقة الصحراوية حيث انخفض عدد السياح بشكل كبير أيضاً في الموسم (2016) أين سُجل إنخفاض بنسبة 40%. كما أن السياحة الصحراوية في الجزائر يغلب عليها الطابع "الوطني"، فلا تتعدى نسبة السياح الأجانب 10%. وإذا ما قارنا عدد سياح الموسم الصحراوي بالعدد الإجمالي للسياح في الجزائر فإن نسبتهم لا تتعدى 10%. على اعتبار أن متوسط مجموع عدد السياح الذين يزورون الجزائر هو 2 مليون سائح. وهي أرقام تختلف عن تلك التي سجلتها الدول الرائدة في المجال السياحي في المنطقة، حيث بلغ عدد السياح الذين زارو المغرب 10 مليون سائح سنة 2015، و 5 مليون زارو تونس و 9 مليون لمصر في نفس السنة. (Observatoire du tourisme au Maroc, 2015, p. 23). إذا كانت هذه الأرقام تبين ضعف النشاط السياحي في الجزائر عموماً و المنطقة الصحراوية بشكل خاص، فإنها تعبر في الواقع عن فكرة "العزلة" التي تعانيها المنطقة. فتتركز السياحة في الجزائر في

المنطقة الشمالية (خاصة الساحلية) رغم المؤهلات غير المستغلة التي تتوفر عليها المنطقة الصحراوية. ويتضح هذا أكثر من خلال توزيع الفنادق الأسِرة.

الجدول 02: توزيع عدد الفنادق حسب نوع السياحة (2015-2020)

نوع السياحة	2015	2016	2017	2019	2020
الحضرية	870	903	949	1 045	1 070
الساحلية	230	231	239	252	253
الصحراوية	55	56	59	76	80
الحموية	21	22	23	25	27
المناخية	19	19	19	19	19
المجموع	**1 195**	**1 231**	**1 289**	**1 417**	**1 449**

المصدر: (Ministère du tourisme, 2021).

الجدول 03: توزيع الأسِرة حسب نوع السياحة (2015-2020)

السياحة	2015	2016	2017	2018	2019	2020
الحضرية	62 479	66 155	69 861	74 712	80 470	81 863
الساحلية	30 380	30 500	31 326	32 581	32 926	32 971
الصحراوية	3 636	4 780	4 928	5 477	5 895	6 299
الحموية	3 866	4 102	4 266	4 502	4 502	4 598
المناخية	1 883	1 883	1 883	1 883	1 883	1 883
المجموع	**102 244**	**107 420**	**112 264**	**119 155**	**125 676**	**127 614**

المصدر: (Ministère du tourisme, 2021).

لا تتوفر السياحة الصحراوية إلاّ على 5% من مجموع هياكل الاستقبال في الجزائر سنة 2017 مقابل تقريباً 20% للسياحة الساحلية. ما يعني أن السياحة في الجزائر تتركز في المناطق الساحلية والحضرية وأن حصة المنطقة الصحراوية من الهياكل ضعيفة مقارنة بالمناطق الشمالية. ولا تختلف الجزائر في هذا عن المغرب وتونس، إلا أن السياحة الصحراوية في تونس تتبع للسياحة الساحلية (تابعة)، وتهدف في المغرب الى تنويع العرض السياحي بتخفيف الضغط على أكبر المناطق السياحية في البلاد (مراكش وأغادير). (Hmioui & Leroux, 2019, p. 17). وبالتالي، يمكن القول بأن السياحة الصحراوية في الجزائر من وجهة نظر التنمية الستدامة هي سياحة "تقوقع"، أي سياحة مهمشة، غير مُستغلة جيداً من حيث الجوانب المعروفة للتنمية المستدامة (الاقتصادية، البيئية، الاجتماعية). عكس النقيض الْآخر من السياحة الذي يهدف الى استغلال الموارد الى أقصى حد ممكن بما يضمن تحقيق أقصى ربح إقتصادي ممكن على حساب الوضعية البيئية والاجتماعية (السياحة السائدة). بعبارة أخرى، يمكن القول أن البعد البيئي للسياحة الصحراوية في الجزائر يتأثر بالظروف الطبيعية والمناخية للمنطقة أكثر من تأثره بالعامل البشري. أما البعد الاقتصادي والاجتماعي في المشروع فهو غائب إلا ما تعلق بالرغبة في تنويع الاقتصاد.

في الحقيقة، يقتضي إدماج مبادئ التنمية المستدامة في قطاع السياحة الصحراوي في الجزائر وجود رؤية شاملة للعملية (لا تقوقع ولاإفراط). وبالتالي، رغم بداية إنتشار الوعي لدى السياح والعاملين في قطاع السياحة، إلا أنه يعود للدولة الدور الأساسي والأكبر في التحفيز وخلق الظروف الملائمة لجعل السياحة أكثر إستدامة في المستقبل.

2. قراءة في المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية آفاق 2030 (SDAT):

المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية آفاق 2030 (SDAT) هو الإطار الإستراتيجي و المرجعي للسياسة السياحية في الجزائر، حسب الكتاب الأول. (Ministère du tourisme, 2008, p. 4). ومن خلاله تَعْرِض الدولة رؤيتها للتنمية السياحية الوطنية على المدى البعيد في إطار التنمية المستدامة وتحدد وسائل تطبيقها وشروط تحقيقها. ويعد المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية جزء من المخطط الوطني لتهيئة الإقليم آفاق 2030 (SNAT) الذي يوضح كيفية تحقيق الدولة للتوازن الثلاثي بين الفعالية الاقتصادية، الرقي الاجتماعي والاستدامة البيئية في إطار التنمية المستدامة. وبذلك، تعطي الدولة، في إطار التنمية المستدامة، التوجيهات الاستراتيجية للتهيئة السياحية لكل الأطراف المعنية على المستوى الوطني.

ويُلاحظ من خلال قراءة الأهداف الخمسة (5)، في الكتاب الأول (Ministère du tourisme, 2008, pp. 22-24) ، للمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية وجود رغبة لدى الجزائر في تحقيق أهداف التنمية المستدامة على مستوى القطاع السياحي. في الجانب الاقتصادي، يهدف المخطط الى جعل مساهمة قطاع السياحة مساهمة فعالة في التنمية الاقتصادية كبديل لقطاع المحروقات. فالهدف هو تحسين التوازنات الاقتصادية الكلية (التشغيل، النمو، الاستثمار، الميزان التجاري والمالي) وإحداث ديناميكية وتأثير على قطاعات أخرى (الزراعة، الصناعات التقليدية، الثقافة، النقل، الخدمات، الأشغال العمومية، التشغيل،...). أما في الجانبين البيئي والاجتماعي، فيهدف المخطط الى

التوفيق بين الترقية السياحية والبيئة (إدماج مفهوم الاستدامة في التنمية السياحية)، بالإضافة الى تثمين التراث التاريخي، الثقافي والديني والمساهمة في التنمية المحلية.

ومن الديناميكيات الخمسة (5) التي يرتكز عليها المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية نذكر تطوير الأقطاب السياحية المتميزة، حيث يحدد المخطط في كتابه الثالث، سبعة (7) أقطاب سياحية متميزة، ثلاثة (3) منها تقع في الشمال وأربعة (4) في المناطق الصحراوية:

- **الشمال الشرقي**: وتضم ولايات عنابة، الطارف، سكيكدة، قالمة، سوق أهراس، تبسة. وتغلب على هذا القطب السياحة الساحلية والجبلية. كما يتوفر القطب على 13684 سرير يمثل 132 فندق، بالإضافة الى هياكل لا بأس بها (مطارات، موانئ، سكك حديدية،...).
- **الوسط**: ويخص ولايات الجزائر العاصمة، تيبازة، بومرداس، البليدة، الشلف، عين الدفلة، المدية، البويرة، تيزي وزو، بجاية. ويتميز هذا القطب بوجود هياكل قاعدية متطورة تتوافق مع المكانة السياسية والاقتصادية لعاصمة البلاد. ما أدى الى تطوير سياحة الأعمال (التجارية) بالإضافة الى السياحة الساحلية. ويتوفر القطب على أكبر طاقة استقبال تقدر ب 31588 سرير.
- **الشمال الغربي**: يخص هذا القطب ولايات مستغانم، وهران، عين تيموشنت، تلمسان، معسكر، سيدي بلعباس، غليزان. ويحتوي القطب على حظيرة تضم 269 فندق تتسع لاستقبال 22000 سرير، وكذلك هياكل ساحلية ذات جودة. ويأخذ القطب أيضاً الطابع الصناعي والجامعي.
- **الواحات**: تضم ولايات غرداية، بسكرة والوادي. يعتبر أحسن قطب صحراوي من حيث الهياكل القاعدية، حيث يعتبر همزة وصل بين المناطق الشمالية والمناطق الصحراوية. ويحتوي القطب على 11 فندق يضم 3690 سرير.
- **توات – قورارة**: ويتعلق بطرق القصور في ولايتي أدرار وبشار. وهو قطب تراثي عالمي (قصور، فقاقير، مخطوطات،...) يتناسب مع سياحة الاكتشافات والسياحة الثقافية. ويتوفر القطب على 372 سرير.
- **الطاسيلي**: إليزي وجانت. وهو قطب تراثي عالمي خاصة بفضل الحظيرة الوطنية "الطاسيلي" المصنفة كتراث عالمي من طرف منظمة "اليونيسكو" منذ سنة 1981. ويعتبر هذا القطب من الأوراق الرابحة التي يمكن أن تعتمد عليها الجزائر لجذب السياح الباحثين عن السياحة "الحقيقية" أو "الأصلية".
- **الأهقار**: في ولاية تمنراست. وهو قطب استراتيجي مصنف كتراث عالمي من طرف منظمة "اليونيسكو". إلا انه كقطب الطاسيلي يعاني من العزلة (بُعْد المسافة عن الأقطاب الساحلية) التي لا تسمح له بالدخول في حلقة سياحية متكاملة. كما يعاني أيضاً من نقص الهياكل.

من خلال قراءة المخطط التوجيهي، يمكن التمييز بين رؤيتين مختلفتين للسياحة في الجزائر: السياحة الساحلية في الشمال وما تقتضيه من وسائل الراحة والترفيه (فنادق كبيرة، فضاءات الترفيه، هياكل، نقل،...)، مقابل السياحة الصحراوية في الجنوب التي تتميز ببساطة الوسائل والخدمات (استقبال، إطعام، نقل،...) والابتعاد عن وسائل الراحة

التي تميز السياحة الساحلية. وبالتالي يمكن القول أن هناك تركيز للإمكانيات المادية والبشرية في الشمال حول السياحة الساحلية وعزلة تميز المناطق الجنوبية حول السياحة الصحراوية. وفي هذا لا تختلف الجزائر عن تونس أو المغرب إلا فيما يتعلق بمكانة السياحة الصحراوية في الاستراييجية السياحية الشاملة. فإذا كانت السياحة الساحلية هي المهيمنة، فإن تونس تهدف الى جعل السياحة الصحراوية إمتداداً للسياحة الساحلية، بينما يسعى المغرب الى تخفيف الضغط عن الوجهات الأكثر جذباً للسياح في المملكة بالإعتماد على السياحة الصحراوية كبديل وكوسيلة لتنويع العرض السياحي في المغرب. وعليه، يُلاحظ في الجزائر غياب إستراتيجية واضحة لترقية السياحة الصحراوية. أي ليست هناك رؤية تجعل من السياحة الصحراوية سياحة "حقيقية"، "أصيلة". وهنا يتحدث (Minvielle & Minvielle, 2014, p. 34) عن مصطلح "l'authenticité" أو "الأصالة" للتعبير عن نوع من السياحة تتميز بالاتصال الحقيقي بين السائح والمكان (الطبيعة) وتأخذ شكل المغامرة أو التجربة. وهي سياحة تختلف عن السياحة التقليدية السائدة (المصطنعة) التي تفتقد للطابع التلقائي. ويرى الباحثان أن الصحراء بطبيعتها هي نقيض للأماكن السياحية وأنه يجب أن تتحول السياحة الصحراوية الى شيء أسمى وهو السفر والمغامرة،...

فيما يخص التنمية المستدامة، يُلاحظ غياب سياسة متجانسة للقطاع السياحي المستدام في الجزائر حيث يركز المخطط التوجيهي على الجانب الاقتصادي ويهمل الجانبين الاجتماعي والبيئي. واقتصر الجانب الاقتصادي على الاستثمارات في السياحة الساحلية مع إهمال للمنطقة الصحراوية حيث لا يمكن الحديث عن أحد أهم أهداف المخطط وهو إحداث ديناميكية وتأثير على القطاعات الأخرى (الزراعة، الصناعة، النقل،...) في ظل العزلة التي تعانيها المنطقة الصحراوية. في الواقع، لم يتحدث المخطط التوجيهي عن التنمية المستدامة إلا بطريقة موجزة حيث خصص الكتاب الرابع (4) من المخطط التوجيهي سبع (7) صفحات فقط (من الصفحة 18 الى الصفحة 24) للتنمية المستدامة، ولم يذكر كيف يمكن تجسيد أهداف التنمية المستدامة في المجال السياحي، ولم يُلَمِّح الى مكانة التنمية المستدامة في السياحة الصحراوية إلا في فقرة عندما تطرق الى هشاشة مرتفعات الطاسيلي وضرورة المحافظة على البيئة (المحيط) في الصفحة 97 من الكتاب الثالث.

في الأخير، يمكن الإشارة الى جانب هام من التنمية المستدامة وهو الجانب الاجتماعي حيث اقتصر المخطط التوجيهي على الجزء المتعلق بالشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص وأهمل الجوانب الأخرى المرتبطة بالتشاور والتحاور والتعاون بين مختلف المشاركين في النشاط السياحي (وزارات، مديريات ولائية، سلطات محلية، السكان، عمال القطاع،...). (Idir, 2013, p. 280). يُلاحظ أيضاً التأخر الكبير في تنفيذ المشاريع وتجسيد المخطط على أرض الواقع، حيث يشير (Idir, 2013) الى أنه بسبب التأخر الكبير في المشاريع قررت وزارة السياحة تمديد أجل المخطط من سنة 2025 الى سنة 2030. (Idir, 2013, p. 284). تطرح مسألة التأخير في تنفيذ المشاريع إشكالية ما يسمى "مقاومة التغيير" التي يعالجها الاقتصاد المؤسساتي الجديد (Nouvelle Economie Institutionnelle) خاصة الأمريكي Douglass Cecil NORTH ، صاحب جائزة نوبل للاقتصاد سنة 1993، الذي يهتم في أبحاثه بالقوانين غير الرسمية "غير المكتوبة" (العادات، التقاليد، الممارسات، الذهنيات،...)

التي يرى أنها يمكن أن تعرقل قيام المشاريع التنموية إذا لم تُؤخذ بعين الاعتبار عند إعداد القوانين الرسمية (المكتوبة). (North, 2005).

الخاتمة:

تَعْتَبِرُ إستراتيجية التنمية السياحية في الجزائر (2030) السياحة قطاعاً إستراتيجياً لتنويع الاقتصاد الوطني الذي يعتمد أساساً على قطاع المحروقات، ويضع المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية موضوع ترقية التنمية المستدامة في أولويات إهتماماته ومن أهم الأهداف التي يطمح قطاع السياحة في الجزائر الى تحقيقها. غير أن تحليل المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية في الجزائر يبين أن السياسة السياحية في الجزائر يغلب عليها الطابع الساحلي، أي أن السياحة الساحلية هي التي تستقطب الاهتمام حيث تتركز الإستثمارات والإمكانيات المادية والبشرية في المناطق الساحلية. بالمقابل، تعاني المناطق الصحراوية من العزلة التي تنعكس على السياحة الصحراوية غير المستغَلة في الجزائر والتي تُقدَم في كثير من الدول كسياحة مستدامة بديلة (ومكملة) للسياحة الساحلية التقليدية (السائدة) المعروفة بآثارها السلبية على المحيط والسكان. من جهة أخرى، يفتقر المخطط الى إسترتيجية واضحة فيما يخص التنمية المستدامة، فتطرق المخطط الى التنمية المستدامة بصورة موجزة دون الإشارة الى مكانتها في السياحة الصحراوية.

وبالتالي، يمكن القول أن ترقية السياحة الصحراوية في الجزائر كسياحة مستدامة بديلة ومكملة للسياحة الساحلية تعتبر ضرورة في ظل الأوضاع الاقتصادية للجزائر التي تتميز بالاعتماد شبه الكلي على قطاع المحروقات والإهتمام المتزايد بقضايا التنمية المستدامة على المستوى العالمي. ويمكن تحقيق ذلك عن طريق توفير مجموعة من الشروط أهمها:

- تركيز الجهود على المنطقة الصحراوية بجعل السياحة الصحراوية المحرك الذي تقوم عليه السياحة المستدامة في الجزائر كإستراتيجية. ويتطلب ذلك ربط المنطقة الجنوبية بالمنطقة الشمالية بشكل فعال لفك العزلة عن المناطق الصحراوية وإنعاشها إقتصادياً مع الحفاظ في نفس الوقت على محيطها الطبيعي البيئي وتراثها الثقافي والتاريخي.
- تعزيز التشاور والحوار مع أخذ بعين الإعتبار وجهات نظر سكان المناطق الصحراوية والسياح، بالإضافة الى الاهتمام بالممارسات والقوانين "غير الرسمية" (غير المكتوبة) عموماً (العادات، التقاليد،...) لأن التجارب أثبتت بأن السياسات والقوانين (الرسمية، المكتوبة) التي لا تأخذ بعين الإعتبار القوانين غير المكتوبة لا يُكتب لها النجاح في الغالب.

قائمة المراجع:

- Ben Temessek, A. (2008). Tourisme saharien, tourisme écologique, tourisme culturel, l'inévitable interdépendance : étude du cas tunisien. Dans J.-P. Minvielle, M. Smida, & W. Majdoub, *Actes du colloque international: tourisme saharien et développement durable: enjeux et approches comparatives, Tozeur (Tunisie), 9 au 11 novembre 2007* (pp. 191-206). Sousse (Tunisie): IRD-USQV.
- Boukherouk, M. (2008). Le tourisme dans l'espace saharien à travers les expériences du Maroc et de la Tunisie. Réalité, enjeux et alternatives pour un développement durable. Dans J.-P. Minvielle, M. Smida, & W. Majdoub, *Actes du colloque international: tourisme saharien et développement durable: enjeux et approches comparatives, Tozeur (Tunisie), 9 au 11 novembre 2007* (pp. 289-317). Sousse (Tunisie): IRD-USQV.
- Camus, S., Hikkerova, L., & Sahut, J.-M. (2010). Tourisme durable: une approche systémique. *Management & Avenir, 34*(4), 253-269.
- Djekhar, N. (2018, Novembre 01). Schéma directeur d'aménagement touristique (SDAT): Investissements conséquents et recettes insignifiantes. *Le quotidien "El Watan"*. Consulté le Décembre 02, 2019, sur https://www.elwatan.com/edition/actualite/schema-directeur-damenagement-touristique-sdat-investissements-consequents-et-recettes-insignifiantes-01-11-2018
- Goodwin, H. (2016). *Responsible Tourism. Using Tourism for Sustainable Development.* Oxford (UK): Goodfellow. doi:http://dx.doi.org/10.23912/978-1-910158-84-5-3101
- Grenier, A. A. (2009). Conceptualisation du tourisme polaire: cartographier une expérience aux confins de l'imaginaire. *Téoros, 28*(1). Consulté le Décembre 01, 2020, sur http://journals.openedition.org/teoros/173
- Hadach, M., & Tebbaa, O. (2015). Les partenariats entre les acteurs de tourisme pour la mise en place de durabilité, le cas de la région Marrakech Tensuft Alhaouz, au Maroc. *La Revue Gestion et Organisation*, 69-76. doi:https://doi.org/10.1016/j.rgo.2015.07.006
- Hmioui, A., & Leroux, E. (2019). La place du tourisme durable dans la stratégie de développement touristique du Maroc à l'horizon 2020. *Maghreb - Machrek, 239*(1), 9-20. doi:https://doi.org/10.3917/machr.239.0009
- Hosni, A. (2000). *Stratégie pour un développement durable du tourisme au Sahara.* Paris: UNESCO.
- Idir, M. S. (2013). Valorisation du patrimoine, tourisme et développement territorial en Algérie : cas des régions de Béjaïa en Kabylie et Djanet dans le Tassili n'Ajjer (thèse de doctorat en sciences économiques). Grenoble: Université de Grenoble.
- Marcotte, P., Bourdeau, L., & Sarrasin, B. (2017, Mai 12). Tourisme et développement durable. Un exercice d'adaptation, d'intégration et de

conciliation. *Téoros, 36*(1). Récupéré sur http://journals.openedition.org/teoros/2979

- Ministère du tourisme. (2008). *Le Schéma Directeur d'Aménagement Touristique (SDAT) 2030.* Alger: Ministère du tourisme. Récupéré sur https://www.mtatf.gov.dz/?p=2897&lang=fr
- Ministère du tourisme. (2021). *Mtatf*. Consulté le Mai 27, 2021, sur https://www.mtatf.gov.dz/?page_id=1101
- Minvielle, J.-P. (2008). Tourisme saharien et développement durable: enjeux et approches comparatives. Dans J.-P. Minvielle, M. Smida, & W. Majdoub, *Actes du colloque international: tourisme saharien et développement durable: enjeux et approches comparatives, Tozeur (Tunisie), 9 au 11 novembre 2007* (pp. 9-30). Sousse (TUN): IRD-USQV.
- Minvielle, J.-P., & Minvielle, N. (2014). Le tourisme expérientiel au Sahara: une construction hyperréelle de l'aventure. *Mondes du Tourisme*(10), 33-46. doi:https://doi.org/10.4000/tourisme.375
- North, D. (2005). *Le processus du développement économique.* Paris: éditions d'organisation.
- Observatoire du tourisme au Maroc. (2015). *Annuaire statistique du tourisme.* Rabat (Maroc): Observatoire du tourisme au Maroc. Récupéré sur http://www.observatoiredutourisme.ma/annuaire-statistiques-2015/
- PNUE, & OMT. (2006). *Vers un tourisme durable, Guide à l'usage du décideur.* Madrid (Espagne): PNUE, OMT.